بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

بحث مشارك في مؤتمر تحقيق المخطوطات وإحياء تراث البصرة
للمدة من 26/25 /4/ 2017
م/ (مناهج التحقيق عند العرب المحدثين)

التحقيق من أجل العلوم التي كان وما زال لها الفضل الأكبر في حفظ تراث الأمة من الضياع ، وإيصاله الى أبناء الأمة جيلا بعد جيل ، ولولاه لاندثر ذلك الأرث الحضاري والفكري ولم يصلنا منه شيء ، فقد عمل علم التحقيق فضلا عمّا تقدم ذكره عمل على ربط ماضي الأمة الفكري بحاضرها إستكمالا للجهد العظيم الذي بذله علماؤها وأفذاذها في التأليف والنشر في مختلف العلوم والفنون على مرّ العصور .

ولم يكن علم التحقيق وليد العصر الحاضر فقد عرفه وبرع فيه علماءُ العرب القدامى ووضعوا له أسسأ وضوابط ومناهج تتلائم وعصرهم العلمي وبيئتهم الفكرية ، ولاشك ولاريب انّه الأساس الذي انطلق منه المحدثون في بلورة نظريتهم ومنهجهم في علم التحقيق مع ما وجدوه عند الأوربيين من دقة في التأليف والنشر والتحقيق أبان عصر الطباعة .

قبل الحديث عن محاور البحث نورد بعض التعريفات المهمة .

فالتحقيق كما ذكر في المعاجم اللغوية يدور حول التيقن والتثبت من الشيء جاء في لسان العرب : ((حققت الأمر اذا كنت على يقين منه)) وفي مختار الصحاح :((تحقق الأمر : صار الأمر على يقين ، وتحقق عنده الخبر صحّ وكلام محقق أي رصين)) فالتحقيق لغة : اعطاء الشيء حقه الذي وضع عليه من دون أيّ تغيير . وهو في الاصطلاح علماء هذا الفن :

((إعطاء النص صورته الأصلية بحقها كما هو عليها من قبل صاحبها)) . أو هو ((إخراج نص معين في شكل أقرب ما يكون الى الصورة التي تركها مؤلفه إعتمادا على المقارنة بين النسخ التي بقيت من الكتاب)). أوكما يرى د رمضان عبدالتوابأن : ((معناه قراءته على الوجه الذي أراده المؤلف أو على وجه يقرب من أصله الذي كتبه هذا المؤلف)) أو هو((اخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه واسم مؤلفه ونسبته اليه وتحريره من التصحيف والتحريف والخطأ والنقص والزيادة)) .

فالمحقق يسعى الى أن يخرج النص كما أراده مصنفه أو قريبا من صورته عند المصنف وإن علم التحقيق بأدواته ومناهجه وأساليبه هو السبيل الى تلك الغاية .

صفات المحقق العلمية. الدقة و الصبرو الأمانة والتأني في إصدار الأحكام والذكاء والفطنة المعرفة بأساليب العرب وطرائقهم التأليف والمعرفة باللغة العربية وطرائقها وأساليبها . و ليس التحقيق عملا سهلا يسيرا بل هو عمل شاق يكلف المحقق من الجهد والوقت الشيء الكثير , قال الجاحظ في اشارة الى التحقيق : ((وربما أراد مؤلف أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة فيكون انشاء عشر ورقات من

حرّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من اتمام ذلك النقص)). ولايقف التحقيق عند النسخ الخطية فحسب بل يتعداه الى بعض المطبوع كما يرى د عبدالتواب :((ليس من اللازم ان يكون ذلك النص مخطوطا , فكثير من الكتب المطبوعة بين أيدينا لا تفترق كثيرا عن المخطوطات اذ ان الذين تولوا طباعتها من الوراقين أو بعض الادعياء الذين لا يعرفون عن فن التحقيق شيئا , لذ جاءت هذه المطبوعات في كثير من الأحيان مليئة بالتصحيف والتحريف ونصوصها مضطربة ومشوشة تبعد كثيرا عن الاصل الذي كتبه مؤلفها)) .

مراحل التحقيق :

المرحلة الأولى هي مرحلة جمع النسخ الخطية وفحصها والتثبت من عنوانها ونسبتها الى مصنفها . والنسخ الخطية تتفاوت في مراتبها لعدة اعتبارات ..... فأولها نسخة المؤلف التي خطها بيده وتليها النسخ المنقولة منها والمأخوذة عنها وكذلك النسخ المطبوعة اعتمادا على نسخ خطية ولايعتمدها كل المحققين وهي عند بعضهم أصولا ثانوية في التحقيق والطباعة لا تعدو ان تكون انتساخا بصورة حديثة تستدعي من المحقق التثبت من أمانة المطبعة ودقتها .
ثانيا : تحقيق اسم المصنف .
ثالثا : تحقيق نسبة الكتاب الى مصنفه
رابعا : تحقيق متن الكتاب .
خامسا : اضافة الفهارس الفنية التي تعين القارئ على الوصول الى المعلومة بأسرع الطرق وبأقصر الأوقات .

الوقوف نقدا وتوجيها على مناهج العرب المحدثين في الإجراءات المتبعة لديهم في تحقيق النصوص ومدى موافقتها ومطابقتها لما عند العرب القدامى في هذا الفن من فنون المعرفة ومدى الإفادة من وسائل وتقنيات التأليف والطباعة والنشر التي لم تزل في تطور مستمر في عصرنا الحاضر .
أولاً: دلالة مصطلحات هذا العلم ونكر منها اجمالا :

التراث : وهو ما خلفه الماضون من أدوات الحضارة , ويخصنا منها في هذا العلم المخطوطات .

المؤلف أوالمصنف : هو صانع النص ومصنفه وموجده .

الناسخ : هو كاتب النسخة سواء كان المؤلف أو غيره ولكن يطق على غير المؤاف عادة .

النسخة :هي العمل المكتوب الحاوي للنص , سواء كان بخط المؤلف أو غيره .

الأصل وهي النسخة التي كتبها المؤلف وخطها بيده والتي تعتمد في التحقيق قبل غيرها مما كتبها غيره من النساخ ... وقد تسمى النسخة الأم أو المعتمدة .

المصدر : هو الكتاب الذي استخدمه صاحب النص ونقل عنه ما أثبته في كتابه .

الضبط: يراد به تحديد العبارة وتقويمها وكتابتها على شكلها الصحيح ويدخل في ذلك الالتزام بالحركات الصحيحة وتزداد الحاجة الى الحركات عندما تكون علامة مميزة للمعنى من ذلك مثلا الأوزان والأمثلة الصرفية فلا يمكن تجاهل الحركات أو اغفالها أو الخطأ فيها لان ذلك يؤدي الى الخطأ في الأبنية الصرفية وبالتالي هدر القيمة العلمية لذلك المصنف وكذلك عندما تكون الحركة علامة فارقة ومميزة في المعنى فعلى المحقق توخي الحذر في اثباتها .

التصحيف : جاء في منهج تحقيق النصوص للدكتو القيسي ((هو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته أو التصحيف هو الخطأ في الصحيفة والصحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف بأشباه الحروف)). وقال أيضا ((ويقع التصحيف في الالفاظ والأسماء التي تتشابه في صورة الخط فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة)).

ويرى محمد رضا الحسيني أنالتصحيف هو : ((تغييربعض الحروف المتشابهة الى بعضها الآخر على أثر إختلاف شكلها أو نقطها)) وقد ألف فيه القدماء ويعد الحسن بن عبدالله بن سعيد هو أقدم من ألف في هذا الفن , فقد ذكر التصحيف والتحريف قائلا :((شرحت في كتابي هذا الأسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف)). والتصحيف مصدر للفعل صحّف قال الخليل ((ان الصحفي الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف)) كقولهم مثلا : أنّ الماء وأزّ الماء ومن امثلة التصحيف ما وقع في قول أمرئ القيس :

تجاوزت أحراسا وأهوال معشرا عليّ حراصا لو يشرّون مقتلي

رواية الأصمعي يشرّون بالشين المعجمة ورواية غيره يسرّون بالسين المهملة أي من غيظهم عليّ هم حريصون على إسرار قتلي . فالتصحيف ناشئ عن تشابه الحروف في النقط . والتصحيف ناشئ تشابه الحروف في النقط .

التحريف : هو التغيير بين الحروف في الكلمة بالتقديم أو التأخير أو النقص أو الزيادة . وهذا يعني أن التحريف ناشئ من تغيير الحروف أو زيادتها أو نقصها . وقد يكون التصحيف والتحريف ناتجا عن عيوب وآفات السمع والقراءة كأن يملي المملي كلمة (ثابت) فيسمعها الكاتب(نابت) و(احتجم)

(احتجب) . على أن التصحيف والتحريف من أخطر قضايا التحقيق لارتباطها بسلامة النص , فقد أشار الى هذه القضية صاحب كتاب مدخل الى نشر التراث بقوله : ((ان قضية التصحيف والتحريف من أخطر قضايا التحقيق لانها تتصل بسلامة النص , وتأديته على الوجه الذي تركه عليه مؤلفه وهي الغاية التي ليس وراءها غاية من تحقيق النصوص واذاعتها وقد يُتسامح في بعض جوانب التحقيق الاخرى مع أهميتها .... ولكن ان يترك اللفظ مصحفا أو مزالا عن جهته فهذا مما لايسامح فيه ولا يعفى عنه)) .

الهامش : هو ما يكتب خارج النص من المعلومات المختلفة ذات الصلة بالنص لغايات أهمها اليضاح والأفهام وتكتب على هوامش الكتاب واطرافه .

الحاشية : هي الهامش وقد تكون في ذيله فقط .

التعليقة : هي الملاحظة التي يكتبها المعلق في ذلك النص أو على حواشيه وقد يستعمل فيها خط خاص يسمى خط التعليقة .

التعقيبة: وهي الكلمة التي تكتب في أسفل الصفحة اليمنى غالبا لتدل على بدء الصفحة التي تليها , فبتتبع هذه التعقيبات يمكن معرفة تسلسل الكتاب , وعدد صفحاته .

ثانياً : الصفات العلمية والنفسية والأخلاقية التي ينبغي أن يتصف بها المحقق لأن التحقيق أمانة علمية وأخلاقية لا تجوز للمحقق التلاعب بالنص الذي يحققه كيفما يشء وكيفما يحلو له من جهة ومن جهة أخرى فإن التحقيق عمل صعب و شاق ومتعب وهو يحتاج الى معرفة بموضوع التحقيق وعلاقته بالعلوم والفنون الأخرى وما وقع فيه تصحيف أو تحريف أو زيادة أو نقص على أيدي النساخ والوراقين كما ينبغي على المحقق أن يكون ملماً بالخطوط وأنواعها ومناسبات التدوين ببعضها دون البعض الآخر ومن المناسب هنا أن نذكر نصا للجاحظ في هذا المعنى إذ يقول :((وربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة فيكون انشاء عشر ورقات من حرَّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده الى موضعه من إتمام الكلام)) .
ثالثاً : مناهج المحدثين في تحقق النص التراثي المخطوط ويتفرع منه الآتي :
أ :تحقيق عنوان الكتاب وهذا العمل يتطلب من المحقق الألمام بطرائق العرب في وسم مصنفاتهم .
ب : تحقيق نسبة الكتاب الى مؤلفه تحقيقا علميا يثبت فيه نسبة الكتاب الى صاحبه بما لا يعتري ذلك شك أو ريب ومن خلال طرائق ووسائل علمية دقيقة .
ج : تحقيق متن الكتاب المخطوط لمعرفة وتمييز عبارات المصنف من عبارات غيره من العلماء الذين أخذ عنهم والإحالة الى مصادرهم في الهامش والمحقق بذلك العمل يميز أفكاره وأرائه عن أفكارهم

وآرائهم وكذلك يوضح ما التبس من المعاني الدقيقة والمطالب العالية ولا ننسى دوره البارز في إصلاح الأخطاء اللغوية والأملائية التي لاتمس جوهر النص وهي قد تكون من قبل النساخ والوراقين يضاف الى ما تقدم معالجة التصحيف والتحريف والزيادة والنقص.... الخ .د : وثمة موضوع آخر له أهمية كبيرة في الحقيق تبرز فيه منهجية المحقق ومنهجه وهو استحداث فهارس فنية تعين القارئ على الوصول الى المعلومة بأيسر طريق وأسرع وقت .

ه : وثمة محور آخر لا يقل أهمية عن سابقه تبرز فيه منهجية المحقق ومنهجه وهو الإفادة من تقنيات الطباعة الحديثة وما فيها من علامات ورموز تعين كثير على فهم النص لا سيما علامات الترقيم .

و: وللدراسة أثر واضح في بيان منهج المحقق فيما يتعلق بدراسة صاحب المخطوطة وعصره وشيوخه وتلامذته وثقافته ومعارفه وعلومه وكذلك مايخص أسلوبه ومنهجه في التأليف وما يتعلق بالمخطوط موضوع الدراسة والتحقيق .

فهذه أهم محاور الورق البحثية التي يحاول الباحث من خلالها الوقوف على طرائق وأساليب ومناهج المحققين العرب المحدثين لا سيما في علوم اللغة والأدب .